



مسرح عبد الله المناعي حول ضرورة العلوم البحثية المجاورة للمسرح

بعد إصابته الثقيلة عام (١٩٩٤) بمرض قاسٍ من خلال جلطة في الدماغ، فقد الفنان المبدع والأصيل - عبدالله المناعي - قدرته على الكلام وجزءاً كبيراً من حركته الجسدية العامة. لكنه، وهو العاشق الشغوف للمسرح، لم يستسلم لأي شكل من أشكال القنوط والقيود أو التشاكي أو التباكي، إنما نهض إنساناً مبدعاً، جديراً بتكوينه وكيونته وصفته، وبما لديه من بقاء قوي، ينهض الإنسان - الفنان الممتحن عبدالله المناعي بإرادة وقوة وشجاعة، حاثاً ومحفزاً (خلايا دماغه) غير التالفة والخاصة بعملية الإبداع والاشتغال المسرحي التجريبي الحقيقي (يستخدم معنى الإبداع ليشير إلى: العمليات العقلية والمزاجية والدافعية الاجتماعية التي تؤدي إلى: ابتكار حلول فنية، وخلق تصورات وأشكال ومنجزات إبداعية تكون فريدة وجديدة).

﴿ قاسم محمد |



ويخلص العالم - ب. ماك كيللر - إلى: أن الإبداع تفاعل معقد بين التفكير الواقعي والخيالي. لكن المهم هو أن الإبداع - استجابة جديدة غير شائعة وتوافقية، تخدم عمليات = التكيف الداخلي = فيما بين الإنسان ونفسه. وعمليات = التكيف الخارجي = فيما بين الإنسان والبيئة الاجتماعية الثقافية والفيزيائية.

يهتدي المناعي رغم الأوجاع ورغم النواقص الجدية والجملة التي سببها المرض - لأجهزته التعبيرية الخارجية والداخلية - والتي تعتبر ضرورة جداً لعملية شغله الإخراجي في المسرح، ويعزيمة الإنسان الحق، يتوصل بخبرته الإنسانية العميقة، وبخبرة قدرات حدسه الفني الصائب، إلى الدخول في فضاء (الاشتغالات الارتجالية - الإبداعية - في بناء وتأليف عرضه المسرحي «المناعي» الذي ميزه وتميز به).

مع الانتباه إلى أن المبدع هو ذلك الذي يؤثر في الآخرين. سنجد أن عبدالله المناعي المخرج وبقدرة عالية، هو مبدع مؤثر ومحرك للآخرين، من خلال خلقه لعروض مسرحية خاصة به ومميزة له.

يقول - هوارد غاردنر: (إن الفرد المبدع هو ذلك الذي يقوم وبشكل منظم، بإيجاد حلول للمشاكل الفنية، أو يقوم بصنع - منتجات - في ميدان ما، وبطريقة تكون مبتكرة في البداية، لكنها تصبح مقبولة في نهاية الأمر ضمن بيئة ثقافية واحدة في الأقل).

إن الارتجال - الإبداعي في المسرح هو: (عملية تقوم على ابتكار شيء ما، أو أدائه دون تحضير مسبق).

وكلمة - الارتجال الإبداعي - تعني أيضاً: (كل ما هو غير متوقع) وتعني كذلك: أن يقوم المبدع المسرحي، ممثلاً أو مخرجاً أو دراماتورجاً يخلق مشهديات عرضه المسرحي، بأسلوب الارتجال الإبداعي الابتكاري، غير المحض سلفاً، وإنما استناداً إلى إيجاد - فكرة رئيسية - معينة غير مصاغة. يأتي بها المبدع إلى فضاء التمرين، ويبدأ متدرجاً بالشغل، مع تدرج تنمية فكرته وما تلد من أفكار أخرى، وما تنتج من صراعات واحتدامات - درامية - وما تثمر مع توالي الشغل اليومي - المغذى - من تفاصيل صغيرة وكبيرة



عميقة وغير عميقة، عابرة أو متوغلة وسابرة لعمق الملامسات والحساسيات الدراما - إنسانية، والمبتغى الاشتغال عليها إبداعياً. يكون المبدع، المشتغل هنا جاهزاً بإمداداته الفنية، وبمدده الخلاق المتصاعد، ساعة بعد ساعة، من حالة إلى حالة، ومن وجود إلى وجود، ومن تعبيرية إلى أخرى، يمد مبدع الارتجال الإبداعي ويغذي مبدأ هذا الأسلوب موسعاً: (خيال، وحس، وحلم، وذاكرة اللاوعي الطويلة المدى، مع المزاج الخلاق) بإدامة - المد والمدد والتغذية الإبداعية - الابتكارية التي لا تنقطع عن تغذية مفردات ومفاصل وتفصيل إنشاء - حياة المشهد - وصولاً إلى إعمار: كامل العرض المسرحي المنتظر، والمتصف بصفات الإبداع والابتكار والتجريب الحقيقي والمؤثر ليثبت المناعي أنه حقاً مبدع متحرر بقوة من حالات التكرار المسبقة ومن نمطية الأحادية في التفكير والتعبير ذلك أن نزوعه المستمر إلى تجديد اشتغالاته لكي يخرجها عن المؤلف السائد.

يقول - وارنر جتسبرغ -: (عند قيام المفكرين - المبدعين باستكشاف سياقات جديدة في عوالمهم الداخلية والخارجية، يتحتم عليهم غالباً الانعتاق من التقاليد بحيث تأتي الأعمال الإبداعية الجديدة غير مألوفة، بل إنها قد تحدث صدمة).

خلال العقد الأخير من نشاط إبداع عبدالله المناعي يتبلور أسلوبه الفني بتبنيه الكامل لأسلوب (الارتجال الإبداعي) في المسرح. ومبدأ الارتجال الإبداعي هو مبدأ مسرحي حديث ومعاصر، ومنتشر في تلك الفرق المسرحية التجريبية بوجه خاص، وفي أقسام إعداد وتدريب وتأهيل الممثلين الجدد في معاهد المسرح في العالم.

وعبدالله المناعي، هذا المبدع المسرحي الإماراتي الفريد، يعد بحق واحداً من المشتغلين

المهمين في مسرح الارتجال - الإبداعي. فهو لا يحضر نصه الأدبي المكتوب سلفاً، لكنه يكتب كتابة - فعلية - ويجسد هذه الكتابة الفعلية المسرحية تجسيدا حياً، بنبض القلوب ودورات الدماء، وانهمار شلالات الخيال التي ييقظها في دواخل ممثليه عبر التمارين وصولاً إلى العرض.

يحضر عبدالله المناعي إلى فضاء التمرين ومعه فكرته الرئيسية، ويبدأ - بالقليل مما يملك من بقايا نطق وبقايا حركة موجعة - يبدأ بخلق الصور (الارتجالية - الإبداعية) مع مجموعته التمثيلية والتي يتكون جل أفرادها من - الهواة - إذ نادراً ما يعمل (المحترفون الكبار) مع المناعي. يبدأ المناعي مع - صغاره - الذين يلتفون حوله تماماً كما يلتف الأبناء المتعطشون، متحلقين حول مائدة - والدهم - الدسمة والواعدة بالإشباع والارتواء حتى بلوغ البهجة والنشوة الإبداعية الخلاقة.

بدأب وصبر جميل وجليل، يحسده عليه أفضل المبدعين، يشتغل المناعي على نسج وتركيب فسيفساء جماليات عرضه المسرحي الخاص جداً، مع مجموعته التي لا تعرف مسبقاً على ماذا

يتبلور الأسلوب الفني لعبدالله المناعي

بتبنيه الكامل لأسلوب (الارتجال

الإبداعي) في المسرح. ومبدأ الارتجال

الإبداعي هو مبدأ مسرحي حديث

ومعاصر، ومنتشر في تلك الفرق

المسرحية التجريبية بوجه خاص، وفي

أقسام إعداد وتدريب وتأهيل الممثلين

الجدد في معاهد المسرح في العالم

سيشتغل المناعي، لكنها - هذه المجموعة الطيبة والصبورة - تتلقى بانتباه كبير وبتركيز استثنائي، ملاحظاته الفنية البناءة ولمختلف مكونات عناصر العرض وعناصر مؤدي العرض والتي تشتغل على (التقنيات المسرحية داخلياً وخارجياً)، وباقتحامية لا تعرف الكلل أو الملل يقود عبد الله المناعي أحياء وأشياء عرضه المسرحي القادم، مستنهضاً - ذكاءه الفاعل - والذي يعوض نقص الكلام والحركة في جسم المناعي. إن إرادته لا تعرف الحدود، وخياله منطلق فعال، وذكاءه الفاعل قد نما وازدهر وأثمر إبداعات مسرحية كونت علامات مميزة في عروض أيام الشارقة المسرحية، وفي دول الخليج العربي ومهرجاناتها، مما جعل رواد المسرح وفنانيه ينتظرون عروض المناعي الفريدة.

موسماً بعد موسم يقف المبدع المناعي بشموخ إرادته ليرفد الفرق المسرحية المختلفة بعروض مسرحية معاصرة وحديثة ولافتة، ذات منحنى تجريبي كمعالجة إخراجية، وذات أفكار إنسانية عميقة كمضامين، وذات وسائل تعبير مسرحية بصرية، كأداء، مما يجعل هذه العروض تقف بقامتها الكاملة في صف المنجز المسرحي العربي الجديد.

يعود الآن المسرح الحديث في العالم إلى منهج وأسلوب الارتجال الإبداعي، مشتغلاً على تهيئة وتجهيز وتدريب وتأهيل الممثل، وكذلك في بناء العروض المسرحية المتجددة. يعود مبدأ الارتجال الإبداعي، ليحتل مكانة متقدمة، كمدرسة وكدرس ومنهج وأسلوب ضامن للإبداع والتفرد حيث مثل هذا المنهج والأسلوب تياراً تجديدياً وتجريبياً مشهوداً. فقد استخدم (الارتجال - الإبداعي) في المسرح الحديث كسمة من سمات حديثه، وأعتبر أسلوب عمل منهجيته، حالة ابتكارية جديدة، تشمل كل مراحل عملية تجهيز العرض المسرحي

وإحيائه وإنشائه، وبدءاً من أولى خطوات (بناء نص فكرته الرئيسية) ثم أثناء التمارين وإنتهاءً بآخر يوم من أيام العرض المسرحي.

إن إدراك ووعي أهمية - الارتجال الإبداعي - في الشغل المسرحي الحديث، يعد حالة متطورة جداً تعمل على ترصين حالات الخلق الفني المثلّي، بين: المخرج الدراماتورج والممثل الدراماتورج، لأن المخرج لم يعد مجرد مجسد للنص وموجه لما يريده النص المكتوب وكاتبه المسبق، بل أصبح المخرج هنا هو وكذلك الممثلون متصفين بصفات نوعية متقدمة هي: (الدراماتورية) أي بناء العرض والدور التمثيلي، بناءً يحتوي على حالات «التأليف الدرامي» ومنطوياً على معرفة صناعة دراما الدور ودراما العرض، ودراما المعالجة الأدائية (ومعنى الدراما هنا هو: الفعل الذي يجري)، الأمر الذي يتطلب من المشتغلين في بناء العرض وبناء الأداءات، بالدرجة الأهم - تفجيراً لأقصى الطاقات الخلاقة الكامنة في ثنايا وطوايا جميع المشتغلين على العرض المسرحي، متذكرين الحقيقة الرائعة القائلة: (إن المسرح فن تفجيري)، وهذه الصفة هي التي يتصف ويتسم بها: الاشتغال الارتجالي الإبداعي في المسرح الحديث.

لم تكسر محنة المرض الصعب قناة عبدالله المناعي، ولم تلو إرادته، كما لم يخضع أو يستسلم لكل ضغوطات وجعه الممّض، ولم يركن، نادباً ناحباً ومنتظراً أيما فرج أو انفراج وهو يواجه جملة واسعة من حالات «التقعيد والتلاشي» التي فرضتها عليه قوة إصابته. نهض المناعي متجاوزاً حالات انكساراته الداخلية، وآلامه الخارجية، وأدرك بوعي كبير، أن الركون والركود والقعود هو التلاشي بعينه والذي يعقبه الفناء وهو حي ولما يزل يتنفس.

سرعان ما اتجه المناعي بسيره الصعب..

المتعكز إلى المسرح، ومن ثم حمل وجعه واتجه إلى فضاء التمرين، لكي يُثبت - لنفسه أولاً - بأن الإبداع حياة، وجمال، وجلال، وحقيقة، وخير، وعطاء لا يعرف حدوداً أو سدوداً.. وأن الوقوف والعمل بإبداع استثنائي هو صرخة «لا» مدوية في وجه كل أشكال العوق والمرض والجراحات مهما تنوعت وتنوع مصدرها.

قال المبدع العربي الراحل - سعدالله ونوس - قولته الشهيرة وهو يصارع هجمات الموت الباطش: (نحن محكومون بالأمل).. حقاً لولا الأمل لبطل العمل!

لكن المبدع العربي المغربي الكبير - محمد شكري - ذهب أبعد إذ ركب قولته الشهيرة أيضاً: (نحن محكومون بالتلاشي، والإبداع وحده هو الذي يثبت وجودنا).

عبدالله المناعي موجود.. ويعمل بكد وتعب ونشوة فنية عميقة، وببهاجة يبكر إلى العمل قبل الجميع مهيناً هيكل فعل عمله الإبداعي، ويكمله - رغم مرضه المعوق - قبل الجميع أيضاً، بل ويعرضه قبلهم متوجهاً، بشعور اللذة الكبيرة، شطر ساعته المُنتظرة، ساعة بدء عرضه في

إحدى أمسيات أيام الشارقة المسرحية الجميلة. كل مساء وقبل أربعة أشهر أو أكثر من بدء أيام الشارقة المسرحية، تراه داباً دبيبته الواثق، الواضح الهدف والمقصد، مُنقاداً - تعينه عصا أثيرة قريبة جداً إليه - وبسطوع ضوء هدفه السامي والمعشوق، يصل إلى رحبة فضاء تمرينه الحبيب ليكد ويجد في الاشتغال على خلق عرض مسرحي إماراتي جديد، يحمل الأمل ويبرهن على قوة الوجود الحي لمبدع إماراتي - عربي حي، يقاوم، لا وجع المرض الصعب وحده، بل يقاوم كل وتيرية نمطية متخلفة وشائعة ومراوحة في مكانها متوهمةً بأنها تسير..!

باهتداء عبدالله المناعي إلى أسلوب (الارتجال الإبداعي) في بناء فكرته الدرامية الرئيسية التي يؤسس عليها اشتغالاته الأدائية - الفعلية - وفي بناء تمرينه - المؤسس لظاهرة خاصة جداً وإبداعية جداً في مسرح الإمارات وفي المسرح العربي أيضاً - ومن ثم في بناء عرضه المسرحي، يكون المناعي قد اكتشف ذلك (المعادل الموضوعي للفعل الإبداعي المحرك والمتحرك في



مسرحه) والذي عوضه عن كل ما يعتبر عوقاً أو نقصاً في كمال وسائل تعبيره الخارجية «الجسم والصوت».

بهذا يعتبر هذا المبدع الإماراتي والمؤسس، قد وقف - كاملاً متكاملًا - كمبدع مسرحي عربي حديث، مؤثر ومهم.

يبدولي أن جزء الإبداع ومكمنه في - دماغ - عبدالله المناعي، قد بقي حياً غير مصاب ولم تتلفه الجلطة القاسية الوطأة.

كما يبدولي أن اختلاء المناعي - وهو في محنته - إلى ذاته، وحيداً يجابه وجعه، ووحيداً يواجه حالة التلاشي، وقد قادته إلى: (اللجوء إلى - دماغه - أي إلى مكمن ومركز كل إبداع. لجأ المناعي إلى دماغه - حاثاً ومحفزاً ومحركاً - شأن هاملت الذي عندما كان يبحث عن الحقيقة، لطم جبهته صائحاً: حراكاً يا دماغي.. حراكاً...! يقول عالم الدماغ - يوري فرولوف - (إن عمل الدماغ هو: التنظيم الرئيسي للسلوك، سواء سلوك الخيال، أو الحدس، أو الابتكار. وإن العمل الأهم للدماغ أيضاً هو تحليل أعلى مظاهر السلوك التي تتضمن العمل الذهني).

لجأ المناعي إلى - دماغه - مطالباً بالعمل، بديل الرقاد، وبإلحاح (حالماً، متأملاً، مركزاً، موقداً كل إضاءاته الداخلية، وموجداً ذلك المزاج الخلاق مستدعيًا تلك الدافعية الفنية، ومكماً عناصر الإضاءات الداخلية التي تعتبر الأهم في اشتغالات الإبداع، فأيقظ بهذا: الحلم والمزاج والدافعية والتركيز والتأمل، أيقظ حالات: الشجاعة والإرادة، والتي أيقظت بدورها (خلايا الدماغ المستكينة الخاملة وحولتها إلى خلايا دماغ عاملة، وبنهوضها أنهضت المناعي وقادت خطواته، بعد أن شغل نبضات عصبونات الدماغ وتسمى أيضاً - الخلية العصبية - حيث يوجد منها ما يقارب (١٢-١٤ مليار خلية) في الدماغ البشري.

فأضاءت الطريق أمام المناعي إلى: فضاء التمرين.

كان التواصل مع مثليه وفرقته المسرحية، مُرصناً تواصله الحي مع مُتلقيه بمرونة عقلية - فنية مثمرة، وبإحساس عالٍ لمكونات بناء المشهد المسرحي عبر - الأحياء والأشياء - وبالوعي العميق بجميع جوانب عناصر تكوين حياة الفضاء المسرحي المعبرة.

يثبت عبدالله المناعي أنه يمتلك وعياً كبيراً وممتداً إلى ما وراء اليومي العادي، وبهذا يحقق إبداعاً آخر غير المسرح، إنه يحقق وجود ذاته المبدعة وبقوة، سواء بسلوكه الخاص أم في سلوك منهج وأسلوب إبداعه المسرحي المنتمي إلى - الارتجال الإبداعي - يقول أحد الباحثين المعروفين في حالات الإبداع الإنساني الاستثنائي:

(إن الأشخاص المحققين لذواتهم، هم أشخاص مبدعون، وهم عادة ما يفهمون أنفسهم والعالم المحيط بهم، وهم أيضاً، يذهبون إلى ما وراء الحاجات الأساسية. إنهم يذهبون إلى مستويات أكثر ارتفاعاً في الوعي..).

وبالفعل يثبت نمط شخصية المناعي، ونمط اشتغالاته الفنية، وكل منهج هذه الاشتغالات، تثبت: أن القدرات الشخصية الأصلية والمتكونة من تأثير البيئات المختلفة المكونة لشخصية المناعي قد لعبت - كمؤثر خارجي - على حركة الدماغ، دوراً في إيقاظ خلايا الدماغ الخاملة وحولتها إلى عاملة، إذ حصلت الاستجابات المطلوبة من قبل الدماغ، وأيضاً نتيجة للحلم الإبداعي والمزاج البهيج، والدافعية السعيدة، إلى جانب الإرادة والشجاعة والولع، لقد لعبت كلها دورها المحرك في أن يقف هذا المسرحي المؤثر والكاشف والمضيف في صف مبدعي المسرح العربي الحديث.

103

الترافد

Arrafid



أيام المشاركة المسرحية

19 - 22 مارس 2013

تونس
الثوار
الإسلام
والحسوة
الحضارية

